(٩٦) سورة العلق

في رحاب السورة الكريمة

سورة مكية آياتها تسع عشرة وهى أول ما نزل من القرآن الكريم وتسمى سورة أقرأ وهى تعالج القضايا الآتية:

أولا: موضوع بدء نزول الوحى على رسول الله ﷺ.

ثانيا: موضوع طغيان الإنسان بالمال وتمرده على أوامر الله تعالى.

ثالثًا: قصة الشقى "أبى جهل" ونهيه الرسول ﷺ.

بدأت السورة الكريمة ببيان فضل الله على رسوله الكريم، بإنزال هذا القرآن المعجزة الخالدة ثم تحدثت عن طغيان الإنسان فى هذه الحياة بالقوة والثراء وتمرده على أوامر الله بسبب نعمة الغنى وكان الواجب شكر الله على أفضاله ثم تناولت قصة أبى جهل فرعون هذه الأمة الذى كان يتوعد الرسول ويهدده وينهاه عن الصلاة وختمت السورة الكريمة بوعيد ذلك الشقى الكافر بأشد العقاب سميت بسورة العلق حيث ذكر الله عز وجل خلق الإنسان من علق الدم الجامد وهو الدودة الصغيرة وقد أثبت الطب الحديث ذلك.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ۞ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۞ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۞ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۞ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۞ كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ۞ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ۞ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ۞ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ۞ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ۞ أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ۞ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ۞ أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۞ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ۞ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ۞ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۞ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ۞ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ۞ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ۩ ۞ ﴾

معانى المفردات:

علق: دم جامد

ليطغى: ليجاوز الحد فى الطغيان

الرجعى: الرجوع فى الآخرة　　لنسفعا بالناصية: لنسحبنه بناصيته إلى النار
فليدع ناديه: أهل مجلسه　　سندع الزبانية: ملائكة العذاب

التفسير:

تبدأ السورة الكريمة بقول الله عز وجل ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ هذا أول خطاب إلهى وجه إلى النبى ﷺ وفيه دعوة إلى القراءة والكتابة والعلم لأنه شعار دين الإسلام، أى اقرأ يا محمد القرآن مبتدئا ومستعينا باسم ربك الجليل الذى خلق جميع المخلوقات، وأوجد جميع العوالم، ثم فسر الخلق تفخيما بشأن الإنسان فقال ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ أى خلق هذا الإنسان البديع الشكل الذى هو أشرف المخلوقات من العلقة وهى الدودة الصغيرة حيث لا ترى بالعين فتبارك الله أحسن الخالقين[1] ﴿ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴾ أى اقرأ يا محمد وربك العظيم الكريم الذى لا يساويه ولا يدانيه كريم وقد دل على كمال كرمه أنه علم العباد ما لم يعلموا ﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ أى الذى علم الخط والكتابة بالقلم وعلم البشر ما لم يكونوا يعرفونه من العلوم والمعارف قال القرطبى نبَّه تعالى على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التى لا يحيط بها الإنسان وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت أخبار الأولين ومقالتهم ولا كتب الله المنزلة إلا بالكتابة ولولاها ما استقامت أمور الدنيا[2]. وهذه الآيات الخمس هى أول ما نزل عليه الملك وهو يتعبد فى غار حراء فقال أقرأ فقال ما أنا بقارئ[3] ثم أخبر تعالى عن سبب بطر الإنسان وطغيانه فقال سبحانه ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴾ أى حقا إن الإنسان ليتجاوز الحد فى الطغيان واتباع هوى النفس ويستكبر على ربه عز وجل ﴿ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ أى من أجل أن رأى نفسه غنيا وأصبح ذا ثروة ومال أشرك وبطر ثم توعده وتهدده بقوله ﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴾ أى إن إلى ربك أيها الإنسان المرجع والمصير فيُجازيك على أعمالك والآيات إلى آخر السورة فى أبى جهل بعد نزول صدر السورة بمدة طويلة وذلك أن أبا جهل كان يطغى بكثرة ماله

---

(١) كتاب الطب محراب الإيمان، ٢ ص ٥٣.

(٢) القرطبى ١٩/١٢٠.

(٣) أخرج الشيخان عن عائشة قالت: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحى الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح وحبب إليه الخلاء فكان يأتى حراء فيتعبد فيه الليالى ذوات العدد.

ويبالغ بعداوة الرسول ﷺ والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب[1] ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴾ تعجب من حال ذلك الشقى الفاجر أى أخبرنى يا محمد عن حال ذلك المجرم الأثيم الذى ينهى عبدا من عباد الله عن الصلاة فما أخف عقله وما أشنع فعله وقد أجمع المفسرون على أن العبد المصلى هو محمد ﷺ وأن الذى نهاه هو اللعين "أبو جهل" ﴿ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ أى أخبرنى إن كان هذا العبد المصلى وهو النبى محمد ﷺ تنهاه عن الصلاة صالحا مهتديا على الطريقة المستقيمة فى قوله وفعله ﴿ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴾ أو كان آمرا بالإخلاص والتوحيد، داعيا إلى الهدى والرشاد، كيف تزجره وتنهاه[2] ﴿ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴾ أى أخبرنى يا محمد إن كذب بالقرآن وأعرض عن الإيمان ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴾ أى ألم يعلم ذلك الشقى أن الله مطلع على أحواله مراقب لأفعاله وسيجازيه عليها ثم ردعه سبحانه وتعالى فقال ﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ ﴾ أى ليرتدع هذا الفاجر "أبو جهل" عن غيه وضلاله.فو الله لئن لم ينته عن أذى الرسول ويكف عما هو عليه من الكفر والضلال ﴿ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴾ أو لنأخذه بناصيته مقدم شعر الرأس فلنجرنه إلى النار بعنف وشدة ونقذفه فيها ﴿ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴾ أى صاحب هذه الناصية كاذب فاجر كثير الذنوب والإجرام ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴾ أى فليدع أهل ناديه وليستنصر بهم ﴿ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴾ أى سندعو خزنة جهنم الملائكة الغلاظ الشداد روى أن أبا جهل مر على النبى ﷺ وهو يصلى عند المقام فقال "ألم أنهك عن هذا يا محمد فأغلظ له رسول الله ﷺ القول فقال له أبو جهل: بأى شىء تهددنى يا محمد والله إنى لأكثر أهل الوادى هذا ناديا فأنزل الله تعالى ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴾ قال ابن عباس: لو دعا ناديه لأخذته ملائكة العذاب من ساعته[3] ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴾ أى واظب على سجودك وصلاتك وتقرب بذلك إلى ربك وفى الحديث الشريف "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد"[4].

---

(١) انظر حاشية الصاوى ٤/٣٣٦.

(٢) هذا هو الظاهر أن الذى هو على الهدى أو أمر بالتقوى هو محمد ﷺ وهو أختيار ابن عطية والجمهور صفوة التفاسير ص ١٧٤٨.

(٣) تفسير القرطبى ١٩/١٢٧.

(١) رواه مسلم.

الإعراب:

ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ	اقرأ فعل أمر مبنى على السكون وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت باسم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من ضمير الفاعل أى "مفتتحا" وأعربها ابن خالويه زائدة تابعا فى ذلك لأبى عبيده قال الباء زائدة والمعنى اقرأ اسم ربك كما قال سبح اسم ربك، مضاف إليه، الذى اسم موصول مبنى فى محل جر نعت، خلق فعل ماض مبنى وفاعله ضمير مستتر والجملة صلة الموصول لا محل لها.
خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ	خلق فعل ماض مبنى، الفاعل ضمير مستتر تقديره هو يعود على الله عز وجل والجملة تأكيد لفظى الإنسان مفعول به منصوب، من علق جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال.
ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ	اقرأ فعل أمر مبنى تأكيد لفظى لأقرأ الأولى، وربك الواو استئنافية ويجوز أن تكون للحال، ربك مبتدأ مرفوع الضمير فى محل جر والأكرم خبر المبتدأ مرفوع وأعربها ابن خالويه نعتا ويكون الخبر فى هذه الحالة "علم الإنسان".
ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ	الذى اسم موصول خبر ثان أعربها ابن خالوية نعت ثان وجملة علم صلة الموصول لا محل لها من الإعراب، وفاعل علم ضمير مستتر تقديره هو يعود على الله عز وجل، والمفعولان محذوفان تقديرهما علم الإنسان الخط بالقلم، بالقلم جار ومجرور متعلقان بعلم أو متعلقان بالخط.

عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ	الجملة تأكيد لعلّم الأولى أو بدل أو خبر كما تقدم الإنسان مفعول أول، ما اسم موصول فى محل نصب مفعول ثان وجملة لم يعلم صلة الموصول والعائد محذوف أى لم يعلمه.
كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ	كلا حرف ردع وزجر للكافر بنعمة الله، إن الإنسان إن واسمها، اللام هى المزحلقة يطغى مضارع مرفوع بضمة مقدرة والفاعل ضمير مستتر وجملة ليطغى فى محل رفع خبر ثان وقد اختلف النحويون فى معنى كلا فالكسائى جعلها بمعنى حقا ومذهب أبى حيان أنها بمعنى ألا الاستفتاحية والحق أنها حرف ردع وزجر كما قال سيبويه وقال الزجاج وكلا ردع وتنبيه[1].
أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ	أن حرف مصدرى ونصب وهى مع مدخولها فى تأويل مصدر مفعول لأجله رآه فعل ماض والفاعل مستتر تقديره هو والهاء فى محل نصب مفعول به أول وجملة استغنى فى محل نصب مفعول به ثان.
إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ	إن حرف توكيد ونصب مشبه بالفعل إلى ربك فى محل رفع خبر إن مقدم الرجعى اسم إن مؤخر منصوب بالفتحة المقدرة.
أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ	الهمزة للاستفهام رأيت فعل ماض والتاء هى الفاعل الذى اسم موصول فى محل نصب مفعول به ينهى مضارع مرفوع وفاعله مستتر والجملة صلة الموصول، عبدا مفعول به لينهى إذا ظرف للزمان المستقبل لمجرد الظرفية متعلق بينهى صلى فعل ماض مبنى وفاعله مستتر تقديره هو.
أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ	الهمزة للاستفهام، رأيت فعل ماض مبنى والتاء فاعل ومعناها أخبرنى إن شرطية مبنية على السكون، كان فعل ماض ناقص وهو فى محل جزم فعل الشرط واسمها ضمير مستتر تقديره هو

(١) إعراب القرآن الكريم وبيانه محى الدين الدرويش المجلد العاشر ص ٥٣٠.

	على الهدى جار ومجرور فى محل رفع خبر كان، أو حرف عطف مبنى على السكون أمر فعل ماض مبنى وفاعله مستتر بالتقوى جار ومجرور متعلقان بأمر.
أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ	سبق إعرابها مثيلتها فى الآية السابقة.
أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ	الهمزة للاستفهام التقريرى والتعجب، لم حرف نفى وجزم يعلم مضارع مجزوم الباء حرف جر زائد وأن حرف توكيد ونصب ولفظ الجلالة اسم إن منصوب وجملة يرى فى محل رفع خبر إن، وإن وما بعدها سدت مسد مفعولى يعلم، أما جواب الشرط الذى فى حيز الاثنين السابقين فمحذوف يدل عليه الجملة الاستفهامية والتقدير "إن كان على الهدى وتقديره فى الأخيرة" إن كذب وتولى أفلم يعلم بأن الله يرى أى على تقدير الفاعل[1].
كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٖ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٖ	كلا حرف ردع وزجر لأبى جهل، اللاّم موطئة للقسم، لأنها داخله على أداة شرط للإيذان بأن الجواب بعدها مبنى على قسم قبلها لا على الشرط للإيذان بأن الجواب بعدها مبنى على قسم قبلها لا على الشرط إن شرطية، لم حرف نفى وجزم، ينته مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف حرف العلة، لنسفعا اللام جواب القسم جريا على القاعدة المقررة من اجتماع قسم وشرط، نسفعا فعل مضارع مبنى على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الخفيفة وكتبت بالألف فى المصحف على حكم الوقف، والفاعل مستتر تقديره نحن، بالناصية جار ومجرور متعلقان بنسفعا، ناصية بدل مجرور من الناصية، كاذبة خاطئة نعتان.
فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾	الفاء هى الفصيحة، اللاّم لام الأمر يدع مضارع مجزوم علامة الجزم حذف حرف العلة والفاعل ضمير مستتر تقديره هو، ناديه

(١) إعراب القرآن الكريم وبيانه لمحى الدين الدرويش المجلد العاشر. ص ٥٣٢.

كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب	مفعول به، السين حرف استقبال ندعو مضارع مرفوع وفاعله مستتر تقديره نحن الزبانية مفعول به منصوب كلا تأكيد للردع والزجر لأبى جهل لا ناهيه تطعه مضارع مجزوم بلا والفاعل مستتر تقديره أنت والهاء فى محل نصب مفعول به، واسجد فعل أمر مبنى واقترب عطف على واسجد.

من ألوان البلاغة

لقد اشتملت السورة الكريمة على الكثير من الصور البلاغية نذكر منها:

- الكناية فى قوله تعالى ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴾ حيث كنى بالعبد رسول الله ﷺ ولم يقل ينهاك تفخيما لشأنه وتعظيما لقدره.
- المجاز العقلى فى قوله تعالى ﴿ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴾ أى كاذب صاحبها خاطئ فأسند الكذب إليها مجازا.
- الإطناب بتكرار الفعل ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ﴾ ثم قوله ﴿ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴾ لمزيد الاهتمام بشأن القراءة والتعلم.
- الجناس الناقص بين "خلق وعلق".
- طباق السلب فى قوله تعالى ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾.
- الاستفهام للتعجب من شأن الناهى فى قوله تعالى ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴾ وقوله سبحانه ﴿ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴾.
- السجع الجميل غير المتكلف فى أواخر الآيات.

❖ ❖ ❖